العدد 10 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية تموز 2025
No. 10 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences July 2025
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

سلطة الخوف في رواية صانع الأكواز

م. د بلسم خيرالله سباهي
المديرية العامة للتربية / ذي قار
Duaakiere66@gmail.com

الملخص:

يسعى هذا البحث للكشف عن بواعث الخوف ومظاهره في رواية صانع الاكواز للروائي ميثم هاشم طاهر والحاصلة على جائزة الشارقة بوصف الخوف عاملا نفسيا وجوديا ملازما للشخصيات داخل انسجة الرواية، وقد جسدت هذه الرواية احداثا اجتماعية بارزة واخرى سياسية. وقد أستطاع الروائي إن ينحت شخصيات روائية فاعلة في محور الأحداث، فالشخوص جاءت قلقة ومرتابة تتنازعها هواجس ورغبات مستقبلية، مما جعلنا نلمس شخوص حقيقية نابضة من لحم ودم تحزن وتضطرب وتتطلع نحو مستقبلها بحرقة وألم . كما أنمازت رواية (صانع الأكواز) بقدرتها على احتواء الواقع وانتقاده عبر سلخ القناع عن انظمته السلطوية من خلال عمل ادبي فني متكامل الشخوص والأحداث.

الكلمات المفتاحية : الخوف. صانع الأكواز. القلق

The Authority of Fear in The Cone Maker

Assistant Professor Balsam Khairallah Sabahi
General Directorate of Education / Dhi Qar
Duaakiere66@gmail.com

Abstract

Here is the English translation of your paragraph: This research seeks to uncover the sources and manifestations of fear in the novel The Jug Maker by the novelist Maytham Hashem Taher, which won the Sharjah Award. Fear is explored as a psychological and existential element inherent in the characters throughout the fabric of the novel. The novel portrays prominent social and political events.The author skillfully crafts active characters at the center of the narrative. These characters are anxious and suspicious, torn by inner fears and future desires, which makes them feel like real, living individuals made of flesh and blood — they grieve, suffer, and long for their future with anguish and pain. The Jug Maker is distinguished by its ability to embody and critique reality, stripping away the mask from authoritarian systems through a literary and artistic work that is complete in both characters and events.

Keywords :Fear, Cone Maker, Anxiety

مدخل نظري

تعد ظاهرة الخوف من الظواهر الطبيعية التي فطر الله سبحانه وتعالى الإنسان عليها منذو الأزل، وقد لازمت هذه الظاهرة وجود الإنسان سواء ما كان منها محسوس أو غير محسوس مألوفة او غير ذلك.

مفهوم الخوف

أ_ الخوف لغة:

جاء في لسان العرب (خافه يخافه خوفاً وخيفة ومخافة، وخوف الرجل إذا جعله يخاف الناس) [1].

كما وردت لفظة الخوف في القرآن الكريم بمواضع عدة، منها قوله تعالى: ((إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَ)) [٢].

مما يدل على أن الخوف فطرة موجودة في الإنسان منذ بداياته الأولى، تتجلى في ردود أفعاله وسلوكياته، وفيما ذكر الأصفهاني أن الخوف هو توقع مكروه عن امارة مظنونة أو معلومة [٣] ،

وقد عرف الغزالي الخوف بأنه عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه [٤].

ومن خلال ما سبق نستشف ان الخوف موجود في المعاجم اللغوية ولا يقتصر عليها، إنما يعد هذا المصطلح من المصطلحات القديمة النفسية والفلسفية .

ب_ الخوف اصطلاحا

جاء عند علماء النفس المحدثين بأنه حالة انفعالية داخلية طبيعية يشعر بها الفرد في بعض المواقف[٥].

وقد عرفه اسعد رزق بأنه أحد الانفعالات البدائية العنيفة التي تمتلك المرء وتشل حركته وتخمد نشاطه، ويتصف الخوف بحدوث تغيرات واسعة المدى في الجسم كما يتصف بسلوك لدى الشخص قوامه الهرب أو الفرار أمام المثير الخارجي [٦].

ويمكن القول ان الخوف شعور نفسي داخلي يلازم الإنسان منذو ان أدرك عالما مكتظا بالخفايا وبمعنى ادق فهو (استجابة انفعالية تلازم الفرد من المهد إلى اللحد، ويصبح أحد القوى التي تعمل على البناء أو الهدم في تكوين الشخصية ونموها [٧].

فمن درجات الخوف الخشية والحذر والقلق والجزع والهلع والذعر، فيظهر هذا التنوع تبعا لإثارة مواقف عديدة لا حصر لها، فقد تتباين تبايناً كبيراً في حياة الفرد، فهو شعور وحالة طبيعية في نفس الإنسان إذ تتنوع شدته من مجرد الحذر إلى الهلع والرعب.

فالخوف بلا شك أمر طبيعي وهو موجود منذ الأزل، ويذهب (شيفر) الى أن الخوف يرد كعاطفة سلبية فهو (عاطفة قوية غير محببة سببها إدراك خطر ما) [٨].

فمن وجهة نظر علم النفس يعد الخوف حالة نفسية حالها حال الفرح، فلا يمكن التحكم

فيه، لأنه (انفعال ودافع يتضمن حالة من حالات التوتر تدفع بالخائف إلى الهرب من الموقف الذي أدى إلى استثارة الخوف حتى يزول التوتر ويزول الانفعال) [٩].

وللخوف درجات متفاوتة الشدة ادناها الخشية، وأعلاها الذعر، وشدة الخوف تكون في العادة

متناسبة مع عظم المكروه المتوقع. وقد قيل إن توقع الخوف خوف، إلاّ أن بعض الأشخاص يستشعرون الخوف من أشياء لا تبعث بطبيعتها على الخوف لمرضٍ في نفوسهم، ويسمى الخوف بالخوف المرضي كالخوف من الفضاء أو الخلاء أو الحبس والخوف من الحيوانات والماء.

وقد جاء في المعجم الفلسفي أن الخوف (يعرض من توقع مكروه، وانتظار محذور، والتوقع والانتظار إنما يكونان للحوادث في زمن المستقبل) [١٠].

او هو (انفعال نفساني يعرض عن تصور شر قريب) [١١].

بمعنى أنه انفعال قوي غير سار ينتج عن الإحساس بوجود خطرٍ ما متوقع حدوثه، ومن الفلاسفة الأوائل الذين تحدثوا عن الخوف (ارسطو) إذ عرفه بأنه (حزن أو اضطراب ناشئ عن تخيل شر داهم سيسبب تدميراً أو أذى) [١٢].

وهذا التعريف ليس بعيدا عن تعريف الإمام الغزالي الذي عرفه أيضا بأنه (عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع المكروه في الاستقبال) [١٣].

فيطلق الخوف إذن على الحالة التي يتكشف فيها عدم الأمان، وهو حالة مرهونة بعلتها تسبقه (8) علامات مثل الشك والريبة والتشويش والاضطراب والقلق وصولا إلى الفزع.

ينماز الأدب بقدرته على رصد كل أنواع الخوف ومواضع التقاطع مع الحياة. إذ يمتلك الأديب رؤية تمنحه القدرة على الكشف والتصحيح، وبوساطة اللغة فقد رصد الحياة الواقعية بشكل إبداع أدبي تفضي قراءته إلى فهم الطبيعة الإنسانية وعلى اختلاف مضامين رواية صانع الاكواز إلا إن القارئ يميز وقوع الشخصيات الروائية تحت سلطة المواقف وما ينجم عنها من أنواع الخوف ومظاهرة.

المحور الأول
الخوف من فقدان الصحة والحياة

أولاً: الخوف من المجهول:

يعد الخوف من المجهول أحد أعمق المشاعر الإنسانية وأكثرها تجذراً في النفس البشرية، ويعيش الإنسان في ظل شعور قوي بالزمن فمعلوم أن الخوف يفصح توقع مكروه وانتظار محذور، والتوقع والانتظار إنما يكونان للحوادث في الزمان المستقبل[١٤]،

والخوف يرتبط بعوامل لا يمكن السيطرة عليها لان من يخاف ليس له احاطة بالمستقبل فإن مخاوفه تكون ناتجة عن خيالات متوهمة تتحول إلى قلق في النفس، وهذا ما نجده في رواية "صانع الأكواز" يتجسد الخوف من المجهول في عدة مشاهد. ((وما إن سقطت بقعة الضوء على كوز ملحد حتى قال بصوت جازم موشّى بنبرة ساخرة، ضاغطاً على حروفه:

ـ أنا لا .. أؤمن .. بالصانع.

أُذهَل ..!!!

هل نطق الصلصال؟

من يدي تسقط المطرقة حتى كادت تصيب خنصر قدي اليمني، أبلع ريقي وأهرب أخرج من الدائرة باتجاه الباب تتفرّق أوصالي خوفاً))[١٥].

النص يعبر عن خوف اشرق من المجهول، حيث يواجه حدثاً غير مألوف تماماً بالنسبة له، نطق كوز فخاري صنعه بيده يهز قناعته بالواقع، ويثير فيه مشاعر الذعر والارتباك.

ويعتبر هذا حدث غير الطبيعي دليل يحمل موقفاً فلسفياً يناقض قناعات أشرق أو يضعه أمام تساؤلات عميقة. هناك مشهد وصفي يصف به اشرق خاله حسن، وخوفه من المجهول، بعد اختفاء زوجته وأم اولاده "مريم".

((أراه حائراً لم يعرف في ذلك اليوم ماذا يفعل، سوى أن يلوذ في مكان يجعل منه حاضراً غائباً يتذكر امرأة كانت حبّه الوحيد، لكن ذلك الحب انتهى هكذا مخيفاً يزلزل كل يقين))[١٦].

هنا يشعر حسن بالحيرة والخوف، لا يعرف لماذا غادرت مريم كان يراها حبه الوحيد لكن ما حدث جعل هذا الحب يتحول إلى لغز مرعب، وكأن المشاعر لم تكن كما تصورها، غياب مريم كان غامضاً ومجهول مما جعل حسن في دوامة من تساؤلات، مما يعكس خوفه من الزمن، وتحولاته غير المتوقعة.

ومن مصاديق الخوف من المجهول هو خوف أشرق عندما وجد نفسه في قبر جماعي ((استفيق ... روحي الهائمة تُعيدها فظاعة الألم الى جسد الخائر، ألم يعزز نصاله الشرسة في المسام إلى القاع المظلم لحفرة الدموع .. وبوهن بالغ حركت سبابة يدي اليمنى، أشعر أنني عالق في مكان ما، لا أبصر إلاّ العتمة، ورائحة التراب والدم وفي حلقي ثمة ما يُمضغ، ارتعب))[١٧].

في هذا النص اشرق يصف حاله عندما استفاق في مكان مظلم يجد نفسه محاصراً دون القدرة على الفهم او السيطرة، العدم هنا ليس مجرد غياب للرؤية بل هو حالة ضياع داخلي، وهذا يعد بحد ذاته الخوف من المجهول، ورائحة التراب والدم تشير الى صورة الموت والزمن، وهذا الوضع يرعب اشرق، لأنه يكون أمام مصير غير محسوم وكأنه في برزخ بين الوجود والفناء، وعندما يمضغ يوحي اليه ذلك بوجود تهديد غير مرئي مما يعمق الشعور بالخوف من المجهول.

وفي موضع آخر وجدنا شاهد للخوف من المجهول ((أمن الامكان أن يصغي المرء الى عقله؟ وهل يبقى عقل في محنة ظلماء تجد نفسك في قبر جماعي؟ الظلام والتراب عالماك، ارضك جثث، وسماؤك جثث، وما بينهما تراب .. وظلام))[١٨].

هذا المشهد يعكس تجسيداً عميقاً للخوف من المجهول من خلال الظلام والعزلة والموت هنا يظهر تساؤلاً وجودياً حول قدرة الإنسان على التفكير أو الحفاظ على إدراكه في ظل محنة، وفي هذه المواقف العقل ينهار امام هول الموقف ولا يستطيع ان يفكر بشيء لأنه فقد السيطرة على الذات والمجهول هنا ليس فقط مكاناً او حدثاً ، بل هو حالة عقلية من الضياع ، وعندما يصف اشرق المكان ويقول سماؤك جثث وأرض جثث وما بينهما تراب وظلام هذا يعدُّ حالة رعب يشير الى انعدام الأمل والخلاص، الخوف هنا ينبع من الشعور بالاحتجاج في فضاء مجهول بلا مخرج، بلا ضوء، بلا معنى.

ثانياً: الخوف من المرض:

يُعد الخوف من المرض أحد أشكال القلق الوجودي، وهناك درجات متفاوتة في الخوف من المرض ومن هنا يعرف بأنه ((شعور عميق بالقلق والرعب من الاصابة بالأمراض سواء كانت حقيقة او متخيلة))[١٩].

ومن تجليات الخوف من المرض في رواية صانع الاكواز تلك اللحظة التي شعر بها عائلة اشرق عند ارتفاع درجة حرارة الطفل (قسور) مع عجز الأطباء في تشخيص حالته انها لحظات عصيبة حين ترى طفلك يتألم وأنت لا تملك المال لعلاجه، فإن عائلة اشرق لا تستطيع ان تؤمن قوت يومها فكيف لهم ان يؤمنوا المال لعلاج ولدهم لكن سرعان ما ينفذ صبر ام أشرق فتقول من شدة الخوف ((ـ ابنك يموت يا حيدر. سمعنا أنين قسور، كان يعاني من حمّى وصُداع، عجز الأطباء من معرفة السّر وراءهما، بلّ كلّ وصفة لطبيب تفاقمهما، لذلك قال حسن لأبي: "يجب أن تذهب الى بغداد"))[٢٠]

ان خوف حسن من تفاقم حالة الطفل دفعه الى ان يبيع ذهب حبيبته مريم بعد ان رأى القلق والخوف والحيرة تخيم على عائلة اشرق ((ـ ماذا بيدي الم تسمعي الطبيب، مرضه محيّر، وعلينا ان نعرضه على طبيب في بغداد، ونحن في حصار، بالكاد استطيع ان ادّخر ما أجنيه للعشاء.ـ افعل شيئاً أرجوك ... "وغرقت ببكائها". ـ سأبيع ذهب مريم "قال حسن))[٢١].

وفي الفترة التي حددها الطبيب لشفاء (قسور) التعات قلوبنا فيها الى حد بات من المستحيل نسيانها وهنا الخوف بلغ ذروته حيث كانا الام والاب يقفان بجوار قسور يحدقان فيه وكان نظراتهما وحدها تعيد اليه الحياة والاب يردد سيعيش قسور لأنه قوي كأنه يقنع نفسه قبل ان يقنع الاخرين وكانت الام مليئة بالأسئلة التي لا إجابة لها يتشبثان باي بصيص امل وكانت تردد الأدعية وصلوات، والمرض لا يقتصر على المريض فقط بل يمتد اثره الى افراد الاسرة والمحيطين به ويتحول المنزل الى صمت ثقيل حتى الدموع كانت تسيل بلا صوت خوفاً ان توقظ الامل النائم بداخلهم ، حيث اصبح الجميع اسرى القلق واترقب. ويُعد المرض قوة مدمرة نلاحظ ذلك في عبارة ((مرّت هذه العشرة بصورة بدّت تنخر العظام والروح معاً))[٢٢]

تحمل بعداً مجازياً عميقاً وكان المرض ليس مجرد ضعف جسدي بل حالة وجودية تنهك الروح ايضاً والمرض لا يؤثر على المصاب فقط بل يمتد اثره الى المحيطين به فيعيشون حالة من القلق والحزن حتى وان لم يدركوا كل ابعاد الموقف. ومن أمثلة الخوف من المرض، ما تعرضت له معلمة الرسم الست ميساء عند إصابتها بمرض السرطان، المرض المميت الذي عجز العلم عن إيجاد علاجاً له إنه مرض

مخيف لا يستطيع الإنسان يلفظ حروفه فعندما جاءت أم اشرق للسؤال عن حال الست ميساء بعد إلحاح أشرق لأنه علم انها بعد أخبره والدها، لكنه يجهل نوع المرض الذي اصابها، فبعد أن عادت أمه أخبرته فقالت انها مصابة بمر خبيث، لم تستطع أن تلفظ اسمه المشؤوم ((لم تكن أميّ تنطق اسم السرطان تسمّيه "مرض خبيث" وتشفع قولها ب "اسم الله" دفعاً لشرّه))[٢٣].

ومن مصاديق الخوف من المرض ((في اليوم الآخر بعد أن رجعنا من المدرسة، مررنا عليها ... رأيناها مُمددّة على سريرها، هزيلة جداً، ولون بشرتها قد اسودّ بنمش أذهب عنها الألق ...، جلسنا حزانى، كنت لا أصدق كيف انطفئ وجه معلمتي الوضّاء، وصار شاحباً))[٢٤]

في هذا النص يتجلى الخوف من المرض في عدة مستويات سواء على مستوى الشخصية المريضة (الست ميساء) او على مستوى التلاميذ الذين يزورونها، المرض هنا ليس مجرد حالة جسدية بل هو حالة وجودية تهدد الهواية والمكانة الاجتماعية للإنسان مما يجعله مصدراً للرعب والقلق، "أشرق" حين يصف معلمته بأنها اصبحت هزيلة وتغير لون بشرتها وانطفأ وجهها تعتبر هذه اشارات الى ان المرض تمكن من سلب جمالها ورونقها واتعبها واخذ الحياة منها شيئاً فشيئاً واصبحت معزولة في منزلها وهذه العزلة المفروضة تزيد من حالة الرهبة من المرض، إذ تجعل المصابة منفصلة عن الحياة اليومية وعن المجتمع بصورة عامة.

ثالثاً: الخوف من الموت:

يُعدّ الخوف من الموت شعور طبيعي يلازم الإنسان طيلة حياته وبمختلف توجهاته واعتقاداته سواء كان هذا الانسان يعتقد بوجود الله او غير معتقد فانه يدرك بأن الموت هو النهاية الحتمية للحياة مهما طالت، لكن فطرة الانسان التي فطر عليها هي حب الحياة والخوف من الموت كما جاء في قوله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ)[٢٥].

كما يعتبر الخوف من الموت المظلة التي تنضوي تحتها اغلب المخاوف مثل الخوف من المرض ومن الوحوش والخوف من المصير المجهول، فجميعها مصدرها واحد هو الشعور بالقلق والخوف من الموت ، وان الخوف من الموت هو ((اساس كل قلق وانه وراء كل المخاوف ، وان معظم انواع القلق الاخرى ما هي الا مظهر خادع لقلق الخوف من الموت))[٢٦].

ومن اشكال الخوف من الموت في رواية صانع الاكواز هو موت مريم الذي كسر اولادها وحسن ((يصرخ حسن وروحه بأعتاب لوزتيه: (خاتمها). وحفر حتّى ظهرت مريم مدفونة، أول ما تبادر لذهنه، ولداه فصاح: (ولداي، نزار، وخديجة) كانت تلك الصرخة من الحزن خلتها قد فتّت قلبه. وشيء آخر لصق بفمه فبدأ كأنه مجنون، إذ ظلّ يصرخ بأن زوجته مريم "طاهرة كمريم المقدسة"))[٢٧].

يبدأ المشهد بصرخة حسن التي تبدو وكأنها تمزق كيانه حيث تصل روحه بأعتاب لوزتيه مما يعكس عمق الالم النفسي الذي يشعر به عند مواجهة الموت ، وهنا الموت ليس مجرد فكرة بل صدمة تحطم القلب والعقل وتعيد ترتيب اولوياته اول ما يتبادر الى ذهنه مصير اولاده نزار وخديجة ويصرخ حسن مدافعاً عن طهارة مريم مقارناً اياها بمريم المقدسة، وفي محاولة يأسه لإنقاذها من العار حتى بعد موتها. يصبح الموت مثل الالة لا تتوقف، هنا الخوف من الموت يتجاوز الفرد ليصبح خوفاً وجودياً حيث تبدو الحياة نفسها بلا معنى بعد خسارة مريم مما يجعل الموت يبدو كخلاص مشترك او حتى كعدالة اخيرة يمكن ان تجمع بين الضحية والأحياء .

وهناك موضع اخر للخوف من الموت ((المهم إني سأموت وفي فمي ومعدتي لحم ذئب، هذا ما لا يفعله حتى الأسود، ... بذل المضمّد أقصى ما لديه مع ذلك لم يستطع إسعافه مات صائد الذئاب وهو يهذي "أنا أكلتُ الذئب"))[٢٨].

يبرز هذا المشهد الخوف من الموت باعتباره حتمية لا مفر منها حيث يسقط التمييز بين القوي والضعيف كما يعكس رعب لإنسان من الرحيل دون ان يترك أثر. على الرغم من ان اصدقاؤه انقذوه من الذئاب، الا

ان الموت ظل يلاحقه وكان مصيره قد تحدد مسبقاً عبارته "اللهم اني سأموت" تعكس استسلامه التام لهذا المصير التام لهذا المصير. كل انسان نهايته الموت لكن كل انسان يموت بطريقة مختلفة تحت اشعار ((تعددت الاسباب والموت واحد)) يختم الصياد بعبارة "انا أكلت الذئب" كأنه يريد ان يذكر بهذا الفعل حتى بعد موته مما يعكس خوفاً من ان يضيع وجوده في العدم دون ان يترك اثراً وهذه الجملة تشير الى ان بعض البشر حتى في لحظة موتهم يحاولون التمسك بشيء يعبر عن هويتهم وانجازاتهم خوفاً من ان يمحى اثرهم بالكامل من الحياة.

ومن تجليات الخوف من الموت في رواية صانع الاكواز وهو خوف اسرة اشرق عندما ابلغهم المضمّد عبد الصمد بوفاة "قسور" ((في تلك اللحظة مات قسور، وضع عبد الصمد أذنه على قلبه، وكان متوقفاً، وضع أصبعه قريباً من فتحة أنفه، لا ثمة نفس: "مات الطفل" صرخت أمي في تلك اللحظة لم تترك ذرّة من كياني لم تؤججها بالحزن ... احتضنه أبي باكياً بمرارة، كأن للعالم يدين قاسيتين تطبقان عليه يصيح: "قسور حبيبي قسور استيقظ" مات قسور، مزّقت أمّي ثيابها ... وكنّا نبكي لأجل أبوينا، ولأجل أخينا المصفر بحضن أبي، أخي الذي كان حركا مثل العصافير انتهى مثل دمية بحضن أبي))[٢٩] .

يصور هذا النص بإعلان موت قسور بطريقة مباشرة وصادمة ويأتي الموت كحقيقة حاسمة، ليس فقط الخوف من الفناء بل كخوف من الفقد والعجز وتحطم الروابط الاسرية والرهبة من الموت وتأثيره المدمر على النفس البشرية. وهذا المشهد يصف ردود الافعال الجسدية عندما يقوم المضمد عبد الصمد بالتحقق من الموت بطريقة طبية (وضع اذنه على قلبه ... لا ثم نفس) هذا التصرف يعكس حالة انكار او محاولة اخيرة للتمسك بالأمل وهو أحد ردود الفعل الطبيعية اتجاه الموت ويصف الام كيفية تعبيرها عن الحزن.

رابعاً: الخوف من الظواهر الطبيعية:

يُعد الخوف من الظواهر الطبيعية من أعقد المخاوف التي ترهق الانسان في مختلف العصور لان امر حدوثها متعلق بالإرادة الالهية وعادة ما يقف الانسان عاجزاً حين حدوثها، مثل الزلازل والفيضانات والحرائق والاعاصير وهذا ما تحد من قدرة الانسان على ممارسة حياته وتحد من قدرته على حماية نفسه.

فالظلام ظاهرة تحد من قدرة الانسان على رؤية ما يحيط به من الاخطار، وتختلف حدة الخوف من الظلام بين شخص واخر وبين صغير وكبير او بحسب البيئة التي نشأ فيها، وعادة ما تكون المخاوف من الظلام اكبر عند الاطفال.

ومن مشاهد الخوف من الظلام في رواية صانع الاكواز ذلك الخوف الذي شعرا به نزار وخديجة عندما رماهم جدهم في ليلة ظلماء بالخربة دون رحمة وهم لم يعرفا مصير امهما وما حل بها، لم يكن لخديجة ونزار ذنب إلاّ لأنهم أبناء مريم التي ظلمت مرتين مرة حين فارقت روحها جسدها وأخرى حين طُعنت في شرفها من قبل مجتمع يعيش في اعراف وتقاليد لم يسنها عقل ولا دين فحمل طفلين بريئين ما كانا يجهلانه. وهنا يتجلى الخوف من الظواهر الطبيعية في هذا المشهد ((أيقظهما من أذنيهما، وراح يسحلهما بملابسهما الرّثة ... وهناك في الخربة المهجورة ... ألقاهما مقيدين مرتعشين من البرد والخوف، والرعد وزخات المطر ... كان نزار وخديجة متشبثين، يرتجفان من البرد والخوف، والمطر ويزيد من رعبهما، برق ورعد وخوف ... يخافان الخروج من الخربة فالمطر والبرد والخوف والقسوة كلها اجتمعت عليهما))[٣٠]

هذا المشهد يتجسد الخوف من الظواهر الطبيعية حيث يعكس البيئة القاسية وهشاشة الانسان امام قوى الطبيعة التي لا يستطيع التحكم بها فالمطر والبرق والرعد ليست مجرد ظواهر طبيعية بل تتحول مصدر رعب يفاقم احساس نزار وخديجة بالعجز وتعزز مشاعر الضعف لديهم وهذا المشهد يعكس كيف يمكن للطبيعة ان تكون رمزاً للخطر والضيق النفسي اذ ان البرق والرعد يوحيان بوجود تهديد دائم مما يزيد من خوفهم.

المحور الثاني
الخوف من فقدان الأمان والاستقرار

أولاً : الخوف من الأقارب والناس:

الشعور الطبيعي للإنسان في ظل اقاربه هو الشعور بالأمان والاطمئنان والحماية، فاذا وقع على الانسان ظلم من عموم الناس فهو محتمل وان كان مؤلماً، لكن الظالم ذوي القربى غير محتمل واشد ايلاماً واوقع في النفس وكما قال اكثم: (تباعدوا في الديار وتقاربوا في المحبة)[٣١]،

وفي رواية صانع الاكواز تهيمن نظرة المجتمع وأحكامه المسبقة على الافراد فتتحول العلاقة مع الناس وخصوصاً الاقارب الى علاقة مضطربة، يُسيّرها الخوف من الفضيحة والحرص على السمعة والانتماء الى اعراف لا ترحم، ويظهر ذلك جلياً في المشهد الذي يسرد احداث ما بعد اختفاء مريم زوجة حسن.

((لازلت أذكر عشية تلك الليلة في أواخر شهر تشرين الاول 1987، هاجت النيران في براطمهم وجأرت نفوس، وأخرى تمنّي الأكفّ القابضة بضرب جسد امرأة ما، كانت فيما مضى أختاً لهم او بنتاً او حلماً، وتشتدّ القبضات وجأر النفوس. وكلمات اسمعها من جارتنا سعدية، في شارع 19، وسط مدينة الناصرية: ـ هربت مع عشيق لها "تقول لجارة أخرى"

ـ يقول ولدي: إن ثمة من كان يراقب بيتها ... تلطّخ مريم شرفها وسمعة أهلها وزوجها))[٣٢].

في هذا النص يصبح المجتمع اشبه بمحكمة علنية حيث يحاكم الفرد غيابياً دون دلائل، وتطلق الاحكام سريعاً باسم "الشرف" و"السمعة" مما يجعلهم يعيشون قلقاً دائماً من فقد الكرامة أو الطعن في العرض وتهيمن نظرة المجتمع واحكامه المسبقة على الأفراد فتتحول العلاقة مع الناس علاقة مضطربة ويُسيّرها الخوف من الفضيحة والفضيحة لا تحتاج دليل بل مجرد همسة في شارع صغير.

وفي موضع آخر نجد الخوف من الناس ((تشرد الجدّة بعينيها في ركن من أركان البيت الذي كان مفخراً، فمنذ الفضيحة ... الاصرار العنيد عند الجدّين كان مردّه نظرتهما الى الطفلين بوصفهما تذكارين عن فضيحة، وإبعادهما عن الأنظار هي إبعاد الفضيحة عن الناس))[٣٣].

وفي هذا المقطع تتحول نظرات الجد والجدّة الى سلطة لا تقل أي قسوة عن سلطة رسمية ويعيدان ترتيب حياتهما بالكامل، تصبح الطفولة نفسها مهددة وتختزل في كونها رمزاً للفضيحة ما يكشف عن مدى تجذر الخوف من الناس في بنية الاسرة والمجتمع، وبهذا نعرف ان التجربة الانسانية حين لا يعود الخوف من الناس خوفاً عابراً، بل اسلوب حياة، يعرض العزلة ويفرغ القيم العائلية من معناها ويحول الابناء الى عبء ينبغي اخفاؤه.

ومن تجليات الخوف من الناس نجدها في هذا النص ((الناس يا أكوازي تقتل، تقتل بأفواههم، الناس كرنفال من الفظاعة المنافقة، هم غارقون بخطاياهم وآثامهم المستترة، لكن ويح من يُفضح، فسوف يلوكونه بألسنتهم))[٣٤].

هذا المشهد يتحدث بوعي مفجع عن ازدواجية المجتمع الذي يخفي خطاياه ويتلذذ بفضائح الاخرين مما يجعل الخوف من الناس دائماً لا نتيجة له بهذا تصبح لغة الناس وسيلة قتل رمزي لا تقل وحشية عن العنف الجسدي وتجعل كل فرد مشروع ضحية ان تجرأ وكشف المستور.

ومن مصاديق الخوف من الناس خوف حسن ورجاء من جاريهم عندما عادوا "اشرق" بعد ان خرج من القبر الجماعي ((اخفض رأسك وجسدك بقدر ما تستطيع ... اختبئ تحت عباءة أمّك. وادخلا البيت))[٣٥].

في هذا المقطع تتجلى اقسى صور الخوف من الناس حين يتحول الجارة او الجار الى مصدر تهديد وتلصص وقمع البيت هنا يصبح رمزاً للأمان لكنه امان هش يعتمد على الغفلة وعلى الحظ وعلى الا يراك احد.

الخوف من الناس والاقارب يلاحق الفرد حتى داخل عائلته حيث تتحول روابط الدم الى ابواب مغلقة وقوانين صارمة، فبدلاً من ان يكون ملاذاً اصبح مصدر للنبذ والعار والخوف المستمر.

وهنا نجد ان الإرهاب الإنساني او ما يمكن ان نسميه بالخوف من الناس متواجدا بين شخوص الرواية نتيجة لوجود عامله الرئيسي وهو الخيانة وإن لم تقع ولكن هي مخاوف اعتاد عليها الانسان في مجتمعاتنا الشرقية سيوف ألسنة الناس على بعضهم، اذا هنا الخوف يتحول الخوف من الإله مدبر الامور الى خوف من سلطة العباد وهو أشد.

ثانياً: الخوف من السلطة والنفوذ:

يعد الخوف من السلطة من المخاوف التي رافقت الانسان على مر التاريخ فهي تشكل هاجس قلق لدى الانسان عندما يبتلى بحاكم جور متسلط سواء كان ذلك الظالم رئيساً او ملكاً او رئيس مؤسسة او رئيس قبيلة وكل ما يمكن ان يشكل علاقة بين حاكم متسلط ومحكوم ضعيف.

إذ تعبر سردية الخوف عن واقع سوداوي مظلم تصبح اماني البشر فيه فقط ان تبقى على قيد الحياة لا غير، فالترهيب والخوف يشل التفكير ويمحق الذات فالخوف يلاحقهم في كل شيء، ومن أمثلة الخوف من السلطة هو خوف سما وحسن وميثم والأب على اشرق عندما كان بالحبوبي يهتف ولا يبالي للبعثيين ((لمحت سما تنظر اليّ بخوف تضع كفيها المقبوضتين على فمها، ومرّت دقائق حتى جاء بضعة بعثيين ذوي الشوارب الكثّة، والذقون الحليقة والعيون الممتلئة بالشرّ، بملابسهم الزيتونية واسلحتهم ... سحلني أحدهم من ياقتي ... بينا حسن وأبي يتحدثان مع البعثيين ويعتذران عن اسلوبي متهمين إيّاي بالجنون ... وميثم يتشبث بي، خشية ان أنزلق في ما لا يُحمد عقباه))[٣٦].

في هذا النص تتجسد السلطة في صورة افراد ليسوا موظفين للعدل او حماية المجتمع بل وحوش بملامح مقلوبة: شوارب كثّة، ذقون حليقة، عيون شريرة، هذا الوصف الجسدي لا

يأتي عبثاً بل يكرّس فكرة السلطة ككائن شرير متوحش، ويبلغ الخوف ذروته حين يتحوّل الجسد الى ساحة اهانة، يسحل، يكشف، يمزق لا لذنب ارتكبه بل لان وجوده ذاته صار متهماً، وما يزيد قسوة المشهد ان اقرب الناس ـ الاب والخال والصديق لا يواجهون السلطة بل يحاولون امتصاص غضبها بالاستجداء وتقديم التبريرات حتى لو كان ثمن ذلك وصف ابنهم بالجنون، وهذا يسلّط الضوء على كيف ان السلطة تجعل الجميع شركاء في القمع اما صامتين او مبررّين او خائفين.

وفي موضع اخر هناك نموذج للخوف من السلطة والحقبة التي عاشها بطل الرواية "اشرق" بوصف معاناته ((بقيت باب الزنزانة تشرع ليُسحل جسد او يُقذف من خلالها جسد آخر، ... من ثم يُقذفون في قبرٍ وانا قبيل القبر قذفوا بي في زنزانة أظلم من القبر واكثر رعباً))[٣٧]،

يبدأ النص بتصور الزنزانة كفمٍ جائع للموت ليس فقط حيزاً مكانياً بل بوابة عبور من الحياة الى العدم حيث يتحول الجسد الانساني الى مجرد شيء يُقذف، يُسحب، يُسحل بلا قيمة ولا كرامة والزنزانة التي اعدتها السلطة ليست للعقاب فقط بل كسر الروح وتجريد الانسان من ذاته.

وفي موضع أخر يتجلى الخوف من السلطة وهو الارهاب اللغوي حيث لا تقتصر أدوات السلطة على العنف الجسدي بل تمتد لتشمل اللغة ذاتها كسلاح قمعي يستخدم لتفكيك الذات وتخويفها ((مارس عليّ ارهاباً لغوياً حتى عجبت لحياد اللغة وهي تتحوّل في فم هذا اللعين الى سكاكين بشفرات، ونصال حادة، تمزّقني رعباً، يحدّها بمبرد عقل بالغ الفظاعة، من أين للإنسان كل هذا الدهاء في الإرهاب والإرعاب؟))[٣٨].

في هذا النص يصف اشرق كيف تكون اللغة وسيلة للقتل المعنوي في هذا التصوير المجازي تتحول الكلمات الى ادوات تشريع نفسي لا تصيب الجسد بل تنهش الروح اللغة هنا تفقد وظيفتها الانسانية وتستعبد لخدمة القمع، فتصبح أشبه بشفرة يمسكها عبد للسلطة، ينفذ بها اوامرها وجملة "يحدها بمبرد عقل

بالغ الفظاعة"، هذه الجملة تبرز براعة "الجلاد" في اختيار كلماته وتلميح الى ان الارهاب اللغوي منظم ومدروس وليس عفوياً وهنا اشرق يبدو مدهوشاً من القدرة الشيطانية للسلطة على تطويع كل شيء في سبيل اخافة الاخر.

ومن تجليات الخوف من السلطة هو خوف حسن ورجاء عل اشرق بعد ان خرج من القبر الجماعي ((خرجنا من البيت، متوجسين نلتفت يميناً وشمالاً، يضغط حسن على يدي بقوة، كأنه لا يريد ان يُفلتها خشية أن أضيع مرّة أخرى))[٣٩].

هذا النص على الرغم من بساطته الظاهرية يحمل دلالة قوية على الخوف من السلطة والنفوذ، الخروج من لم يعد فعلاً عادياً بل صار فعلاً مشحوناً بالريبة والتوتر، الخوف هنا ليس خطر ظاهر بل من سلطة غير مرئية قادرة على البطش في أي لحظة حتى ان مجرد التواجد في الشارع يعتبر خطراً، وعندما ضغط حسن على يد اشرق هي حركة دفاعية ويشعر حسن ان فقدان اليد يعني فقدان الامان وربما الحياة. وفي مشهد اخر يخبئ حسن اشرق لحمايته من السلطة

((ـ هذا مخبأك وهذا الباب سأخفيه، سأضع تمثالاً ... بحجم الباب الصغير، ستكون حراستك وتعويذتك ضد أولئك الذين لا يملّون زيارتي))[٤٠].

عندما يبدأ النص (هذا مخبأك) حالة من التهديد والاختباء من السلطة وتعدّ خطر دائم يستدعي التخفي وان الانسان لم يعد يثق بفضائه الخارجي وتمثال الذي وضعه حسن يعتبر رمز دفاعي فن يتحول الى وسيلة للحماية.

ثالثاً: خوف الأبناء والآباء:

يُعدّ الخوف بين الاباء والابناء من اكثر انواع الخوف تركيباً فهو لا ينبع من غرباء او اعداء بل من علاقة يفترض ان تكون مصدر للأمان، في رواية صانع الاكواز يظهر هذا الخوف في صور متعددة: خوف الاباء من فقدان السيطرة على ابنائهم وخوف الابناء من سلطة ابائهم او من خذلانهم، تتداخل العاطفة بالرهبة ويصبح الحب مشوباً بالقلق والتوجس مما يكشف هشاشة العلاقات الانسانية حين يعجز الحب عن بث شعور الاطمئنان للخائف.

ومن تجليات خوف الابناء والاباء هو خوف نزار وخديجة من أبيهم حسن وكيف كانت ردت فعله قاسية وعنيفة عندما رآهم ((في ذلك اليوم الذي جاء فيه حسن، وصرخ بوجه الولدين اللذين كانا في انتظاره، يتمنيان رؤيته بشغف:

ـ ماذا تريدان؟ لا اريدكما.

فجأة، انهال على الطفلين ضرباً، وشتماً، ... حتى سال الدم من وجنة نزار اليمنى))(٤١).

يتجلى الخوف بين الابناء والاباء في مشهد صادم حيث يعود حسن الى طفليه اللذين كانا ينتظرانه بشغف وحنين فيقابل توقعهما للحنان بانفجار عنيف وعبارة (لا اريدكما) تقطع خيط الامان بين الاب وابنائه وتحوّل صورة الاب من ملجأ الى مصدر تهديد، فبدلاً من الاحتضان ينهمر عليهم ضرباً وشتائم قاسية حتى يسيل الدم من وجنة نزار. هذه اللحظة تختزن خوفاً مزدوجاً هو خوف خديجة ونزار من الاب الذي اصبح فجأة غريباً مرعباً وعنيفاً لا مبرر واضح بالنسبة لهما، وخوف حسن من نفسه من ضعفه من شعوره بالعجز وهو ينهار امام ابنائه، وكل هذا العنف هو قناع يرتديه حسن ليخفي فشله وخوفه العميق من ان يكون اباً لا يستطيع الحماية فيختار الهروب عن طريق النفي (لا اريدكما بعد لان)، يخلق هذا المشهد شرخاً بين الاب وابنائه ويفصح هشاشة العلاقة حين تُبنى على الخوف بدل الحب وعلى الانكار بدل الاحتواء.

ومن أمثلة خوف الابناء والاباء هو مشهد اخر من العلاقة المتوترة بين حسن وابنائه اثناء رحلة الى البصرة حيث يحاول الطفلان بدافع البراءة واللهفة الحديث مع أبيهما، يسألانه عن مدينة البصرة.

((لم يتكلّم معهما أبداً، وكم سألاه عن البصرة، لكن الأب لم يأبه بهما، وحين يئسا، قالت خديجة لأخيها:

ـ لماذا أبي لا يتكلم.

ـ ... التفت لهما مهدّداً:

ـ اسكتا وإلاّ ألقيت بكما من نافذة السيارة))(٤٢).

في هذا النص يكشف عن شكل اخر من الخوف هو الصمت المهدد عندما لا يجيب حسن ولا يلتفت ولا يمنح أي اشارة تدل على الاستمتاع، الصمت هنا يصبح جداراً صلباً يخلق خوفاً اكثر تعقيداً من الصراخ وعندما يرد الاب بجملة (اسكتا والا القيت بكما من نافذة السيارة) تكون الجملة صادمة لا لأنها قد تحقق بل لأنها تقطع لحظة بريئة بكابوس مفاجئ وهنا يظهر خوف الابناء من الغموض وتجاهل ويظهر خوف حسن من واجهة ماضيه.

والصمت ليس عن حكمة، بل عن عجز صمت يعلق في الجو كثقل، فلا ينهي الحديث ولا يفتحه بل يحاصر الطفولة بأسئلة بلا اجوبة وخوف بلا ملامح.

ومن مصاديق خوف الابناء والاباء هو خوف سما واشرق عندما داهتهما الأمهات ((وذات ليلة مظلمة، لعبنا لعبة خطيرة، على إثرها لوت أمّها أذنها، وصفعتني أمّي في خدّي))(٤٣).

يتجلى الخوف هنا في صورة عقاب فوري وعلني كأن الطفولة نفسها خرق وكأن الحب غلطة يجب اخفاؤها بالدموع والضرب، وفي هذا المشهد يُعرّي خوف الامهات حين يتحولن من رمز حماية الى أدوات للقمع ومن مصدر يحتضن الى يد تصفع، الخوف هنا ليس من الالم جسدية فقط بل من خزي من تحول العاطفة البريئة الى عيب ومن التربية التي تزرع الخوف من الذات قبل ان تشرحها.

وهنا يتبين ان الشخصيات التي تأخذ دور السلطة بالنسبة للأطفال كالآباء والأمهات بدل من ان يكونوا مصادر للرعاية والإرشاد وبناء أسوار الثقة بالنفس اصبحوا بواعث لتزعزع تلك الثقة وزرع بذور الخوف والقلق منهم اولا قبل المجتمع وبدل من ان يكونوا ملاذ امن لأبنائهم اضحو مصادر رعب وترهيب وقلق وجودي حتى وان لم يرتكبوا ذنب.

الخاتمة

في الختام سنوجز ما توصل اليه البحث بما يأتي:

- تُعدُّ رواية صانع الاكواز من الروايات الفلسفية الجميلة التي استطاعت ان تمزج بين التأمل والواقع الحياتي بأسلوب رمزي.
- توصلنا الى ان الخوف ظاهرة انسانية طبيعية، ملازمة للإنسان منذ الازل تتخذ اشكالاً عدّة وتنبع من مصادر مختلفة سواء داخلية او خارجية.
- ان رواية صانع الاكواز قد نجحت في ابراز أوجه الخوف مثل الخوف من المجهول الخوف من المرض والموت من خلال شخصيات تعيش صراعات حادة كما في تجربة اشرق مع الاكواز.
- أظهرت الرواية، الخوف الاجتماعي في صور عدّة مثل الخوف من الناس والاقارب والخوف من السلطة فضلاً عن التوتر القائم في العلاقات بين الاباء والابناء، مما يعكس تعقيد البنية النفسية والاجتماعية للشخصيات.
- وبذلك يتبين ان رواية صانع الاكواز قدمت معالجة فلسفية وانسانية عميقة لموضوع الخوف، تؤكد اهمية توظيف الادب كأداة لفهم النفس البشرية وتفكيك انماط القلق والتوجس التي يعيشها الانسان في ظل واقع متغير.

References

هوامش البحث

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، (مادة الخوف): 1290/2
(٢) سورة آل عمران، آية: ١٧٥.
(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط1، ١٩٦١م: 161.
(٤) ينظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، مكتبة مصر لطباعة، القاهرة، ١٩٩٨م: 190.
(٥) ينظر: أسس الصحة النفسية، عبد العزيز القوصي، النهضة المصرية، القاهرة: 329.
(٦) موسوعة علم النفس، أسعد رزق، النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٧: 128.
(٧) مدخل إلى علم النفس، د حكمت دوو الحلو ود زريمق خليفة العكروتي، ٢٠٤
(٨) سيكولوجية الطفولة والمراهقة، شيفر وملمان، ت سعيد حسن، ٩١
(٩) المرجع في علم النفس، سعد جلال، ٣٣٠
(١٠) تهذيب الأخلاق، ابن مسكويه، ٢٠٦
(١١) المعجم الفلسفي، جميل صليبا ، ج١، ٥٤٥
(١٢) الخطابة، ارسطو، ت عبد الرحمن بدوي، ١١٨
(١٣)إحياء علوم الدين، الغزالي، ج٤، ١٣٥
(١٤) التعريفات، الجرجاني ، الدار الوطنية للنشر.، تونس، ط٢، دت، ٥٤
(١٥) صانع الأكواز، د ميثم هاشم طاهر، ٩
(١٦) صانع الأكواز، ٣٧
(١٧) م. ن، ١٦٣
(١٨) صانع الأكواز، ١٦٦
(١٩) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث، ط١، ٢/ ٩٩٩
(٢٠) صانع الأكواز، ٩٩
(٢١) م. ن، ١٠٠
(٢٢) م.ن، ١٠١
(٢٣) صانع الأكواز، ١١١
(٢٤) م.ن ١١١
(٢٥) سورة العنكبوت، ٥٧
(٢٦) قلق الموت، أحمد عبد الخالق، الكويت، ع١١، ١٩٨٧م، ٤١
(٢٧) صانع الأكواز، ٥٤
(٢٨) صانع الأكواز، ٦٦
(٢٩) م. ن، ١٠٢
(٣٠) صانع الأكواز، ٤٧
(٣١) بهجة المجالس، ابن عبد ربه، تحقيق، محمد مرسي، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ٩٦٤
(٣٢) صانع الأكواز، ٣٦
(٣٣) صانع الأكواز، ٤١
(٣٤) م. ن، ٤٢
(٣٥) صانع الأكواز، ١٨٠
(٣٦) صانع الأكواز ، ١٤٥
(٣٧) م. ن، ١٤٩
(٣٨) م. ن، ١٥٠
(٣٩) م. ن،. ١٨٠
(٤٠) م. ن، ١٨٣
(٤١) م. ن، ٤٨
(٤٢) م. ن، ٥٠

Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

(٤٣) م. ن، ٨٧

المصادر والمراجع

•القرآن الكريم.
1.إحياء علوم الدين، الغزالي، مكتبة مصر لطباعة، القاهرة، ١٩٩٨م.
2.أسس الصحة النفسية، عبد العزيز القوصي، النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.
3. بهجة المجالس، ابن عبد ربه، تحقيق: محمد مرسي، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، د.ت.
4.التعريفات، الجرجاني، الدار الوطنية للنشر ، تونس ، ط2، د.ت.
5.تهذيب الأخلاق، ابن مسكويه، الطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ط1، د.ت.
6.الخطاب، ارسطو طاليس، ترجمة: إبراهيم سلامة، دار النشر مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.
7.صانع الأكواز، ميثم هاشم طاهر، دار الكتب والوثائق، ، بغداد، 2023م.
8.قلق الموت، احمد عبد الخالق، الكويت، العدد11، 1987م.
9.لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الانصاري (630هـ/1232م)، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
10. المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.
11. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط1، ١٩٦١م.
12. موسوعة علم النفس، أسعد رزق، النهضة العربية، بيروت، ١٩٨7م.
13. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، ط1، د.ت.